

دراسة تحليلية حول أصول و دور
العربات القتالية في المغرب القديم

الأستاذ رضا بن علال
المدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة – الجزائر)

واجهت الجماعات البشرية التي استقرت في الشرق الأدنى القديم مع نهاية العصر الحجـــري الحديث على غرار باقي العالم آنذاك مشكل النقل، خاصة إثر تزايد عددها، و لاسيما بعد ارتباطها بالأرض و ما تـــرتب عنه من تأسيس القرى، و سعيها من ثمة إلى إقامة علاقات تجارية مع جيرانها و كذا رغبتها في التوسع، و أول ما قامت به هذه الجماعات هو استئناس الحيوان و تسخيره لحمل الأثقال و المتاع، ثم توصلت إلى اكتشاف العجلة التي استغلت في مجالات متعددة، منها المجال العسكري، و لإبراز أهمية العربة القتالية لدى الليبيين، يستحسن تتبع تطور استعمالها منذ ظهورها بالمنطقة لعلنا نتوصل إلى تسليط الضوء على مراحل هذا التطور و انعكاسه على فن القتال في المغرب القديم و هو ما يجعلنا نتساءل عن أصول هذه العربة و كيفيات انتشارها في المنطقة، و طرق استعمال الليبيين لها في المعارك.

I. أصول العربة القتالية

1. حيوانات الجر

تضاربت آراء المؤرخين فيما إذا كان الإنسان القديم قـــد عـــرف الزراعـــة و الاستقرار قبل معرفته لاستئناس الحيوان، أم كان الأمر عكس ذلك، ففي الوقت الذي يرى البعض أن الإنسان قد استأنس الحيوان قبل معرفته لحياة الاستقرار في الشرق الأدنى في أواخر الألف السادسة قبل الميلاد(1)، يذهب البعض الآخر إلـــى الاعتقـــاد أن النشـــاط الزراعي قد ساهم بشكل كبير في استقرار الإنســـان القـــديم أولا، ثـــم فـــــي استئناســـه للحيوانات التي كان يعتمد عليها في نشاطه الزراعي و في توفير طعامه اليومي(2).

و يبدو أن استعمال حيوانات الجر كالأبقار و الحمير يعود فـــي أقدميتـــه إلـــى العصر الحجري الحديث، فقد كشف التنقيب الأثري عن شواهد تدل على استعمال الإنسان لمثل هذه الحيوانات منذ ذلك العصر(3). و الظاهر أن الحصان كان موجودا في شـــمال إفريقيا قبل الألف الخامس قبل الميلاد، ثم اختفى ليعاد إدخاله إلى المنطقة فـــي النصـــف

الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، و يرجع قبريال كامبس (G.Camps) ظهور الحصان المستأنس بليبيا إلى تاريخ 1500 ق.م (4)، و قد حدث هذا بعدما قامت القبائل الهندو-أوروبية باستئناسه، لاسيما القبائل الميتانية التي استأنست الخيول و مرنتها على الحرب و جر العربات، و نشرت استعمالها في الشرق الأدنى القديم في حدود سنة 2000 ق.م (5).

مما تجدر الإشارة إليه أن الحصان لم يكن قادرا في بداية تدجينه على حمل فارس و عدته، كما أن جر عربة خفيفة كانت تتطلب آنذاك أربعة خيول، و كان ينبغي انتظار مرور ألف سنة على الأقل حتى يتمكن هذا الحيوان من نقل فارس مدجج بالسلاح (6). و ربما استأنس الليبيون الحمار الوحشي شأنهم في ذلك شأن السومريين الذين استغلوا نوعا من الحمير الوحشية المحلية لحمل البضائع و جر العربات، هؤلاء الذين اعتمدوا زيادة على ذلك حسب ما جاء في ملحمة جلجامش على الحمير و البغال لنقل البضائع و على الجياد و الثيران لجر العربات (7).

2. العربات الأولى

اكتشفت أولى العربات في سومر، و قد تعرّفنا على النماذج الأولى منها عند اكتشاف المقابر الملكية في مدينة أور (Ur) بالعراق، و هي عربات ذات عجلات من قطعة واحدة (8)، و تظهر الجداريات السومرية حكام المدن يقودون جنودهم إلى أرض المعركة في صفوف متماسكة أو فوق عربات ثقيلة ذات أربع عجلات(9).

ترجع بداية استخدام العربة في سومر إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، ثم انتشرت إلى آسيا و الهند و بعدها إلى أوروبا و شمال إفريقيا، و لم يكن من السهل التحكم في العربات الأولى نظرا لبدائية التقنيات المتبعة في صناعتها، بحيث ثبّتت بها العجلة و المحور سويا، و صنعت عجلاتها من طبقات عديدة من الخشب مغلفة بإطار من الجلد يثبت بمسامير نحاسية رؤوسها تلامس الأرض (10).

أما عن أصول العربة الخفيفة ذات العجلتين المنقسمتين إلى محاور، فهي تعود إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد، بحيث كانت معروفة لدى سكان ماري في سوريا و الحيثيين، و الظاهر أنه كان للشعوب الهندو-أوروبية التي استقرت على ضفاف الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط دورا في إدخال هذا النوع من العربات إلى المنطقة (11). و إلى وقت قريب كان الاعتقاد السائد أن ترويج استعمال الحصان و العربة الخفيفة في مصر تم إثر غزو الهكسوس (Hyksos) الذي تعرضت له في النصف الثاني من القرن

الثامن عشر قبل الميلاد (12)، بيد أن الدراسات الحديثة تؤكد على أن الأغلبية الساحقة من جيش الهكسوس كان قوامه المشاة (13).

رغم استئناس المصري للحمار و الثور منذ زمن موغل في القدم و استخدامه للعجلة في دولاب صنع الفخار، فهو لم يستخدم هذين العنصرين في النقل و لا في الحرب إلا بعد طرد الهكسوس من مصر، و يعود ذلك إلى اعتماده على واد النيل في مواصلاته لدرجة صرفه النظر عن استخدام العربة في نقل البضائع (14)، كما أن الحرب التي خاضها ضد الهكسوس في أراضي الدلتا لم تستلزم استعمال العربات، كون أراضي الدلتا وحلية (15).

II. ظهور العربات في المغرب القديم

1. ظهورها

لقد أشرنا في مقال هو قيد الطبع بمجلّة " حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة " في الجزائر(16) إلى أنه يمكن تقسيم الرسومات الصخرية في شمال إفريقيا عبر خمس مراحل تاريخية، عرفت المرحلة الرابعة " بمرحلة الخيول "، تعود بدايتها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، و سادت خلالها مشاهد الخيل و مشاهد العربات (17). و سواء كانت تلك العربات مرسومة أو منقوشة فإن زنجارها (Patines) يبدو أحدث عهدا من ذلك المكون لمجموعة الحيرميات (Bubalins) أو البقريات التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث حيث ساد المناخ الرطب (18).

لقد سبقت الإشارة إلى أن ظهور الحصان لأول مرة في شمال إفريقيا كان خلال العصور الحجرية، ثم اختفى ليظهر من جديد في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، و قد تزامن ظهوره مع بداية استعمال الليبيين للعربات، و تشير نصوص المصادر المصرية إلى تمكّن جيوش الفرعون رمسيس الثالث من الاستيلاء على عدد كبير من الحمير و الخيول و حوالي مائة عربة ليبية خلال مواجهتها للقبائل الليبية التي حاولت غزو الدلتا سنة 1187 ق.م (19).

إن إرجاع قبريال كامبس ظهور العربة و الحصان المستأنس في المغرب القديم إلى تاريخ 1500 ق.م جعل البعض ينسب هؤلاء الليبيين الذين استعملوا العربة القتالية الخفيفة إلى أحفاد الهكسوس الذين لجئوا إلى ليبيا بعد طردهم من مصر في عهد الفرعون

أحمس (1575 – 1550ق.م) مؤسس الأسرة الثامنة عشر (20)، الأمر الذي جعل منـــه آخرون ضربا من الخيال(21).

2. انتشارها

إذا ما نأخذ بالرأي الذي يرى بأن انتشار العربة و الحصان المستأنس في ليبيـــا كان عبر مصر، فإن ذلك لم يتم إلا في حوالي 1500 ق.م على أقل تقدير، و ربما تم ذلك عبر طريقين، ينطلق الأول من مصر فيتجه غربا نحو السرت الكبير، ثم ينعطـــف نحـــو الجنوب الغربي عبر الفزان ليصل إلى التاسيلي–ن–آجر و الهقار. أما الثاني، فكان نحـــو الشمال الغربي باتجاه طرابلس و جنوب تونس (22).

و خلافا لذلك يرى آخرون أن إدخال العربة و الحصان المستأنس إلى ليبيا كان مباشرة من الشرق الأدنى القديم عن طريق البحر من طرف الوســطاء الفينيقيـــين (23). غير أن دور هؤلاء لا يعدو أن يكون مجرد تأثير ثانـــوي متأخر، قـــد يستبعد لجـــــوء ليبيـــي الغرب، أسلاف الجيتول و النوميد و المور إلى اقتباس تقنيات استعمال العربـــة و الحصان المستأنس من الملاحين الفينيقيين في الوقت الذي كان إخـــوانهم ليبيـــو الشـــرق جيران المصريين قد تملكوهما منذ ردح من الزمن (24). لكـــن هـــذا لا ينفـــي تصـــنيع الفينيقيين للعربة و الترويج لاستعمالها في ليبيا انطلاقا من محطاتهم التجاريـــة و مـــدنهم على طول سواحل المغرب القديم، خاصة و أنهم كانوا يصدرون هذه الآلة عـــلـــى شكل قطع غيار في منتصف الألف الأول ق.م نحو الأراضي الداخلية، و يستوردون بالمقابـــل الخيول التي كانت تروض لغرض القرن (25).

III. تقنيات صناعة العربة القتالية في المغرب القديم

1. تقنيات صناعة العربة

مما لاشك فيه أن العربة القتالية كانت معروفة لدى معظـــم مجتمعـــات ضـــفتي الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لكن تاريخ بداية استعمالها يختلف من مجتمـــع لآخر، فلقد استخدمها المصريون و الحيثيون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد في معركة قادش الشهيرة (26)، و خلافا لذلك لا تتضمن النصوص القديمة و المعطيات الأثرية أيـــة إشارة حول استعمالها في المغرب القديم أو ما يعرف لدى الإغريق باسم ليبيا التي تشمل الأراضي الواقعة غرب حدود مصر القديمة (27).

يتجلى مـــن الرسومات الصخرية وجـــود نمطين فـــي تمثيل العربـــات الليبيـــة إحداهما مرسومة و الأخرى منقوشة. فباستثناء الحالات النادرة، فإن العربة المرسومة لها عريش أحادي و إن تعددت الخيول التي تجرها، بحيث عادة ما تقتصر على اثنين و نادرا ما تصل إلى أربعة. و إذا ما شاع في تمثيلها استعمال العريش الأحادي، فإن ذلك لا يمنع احتوائها على عريشين أو أكثر. و إذا ما تتمركز العربة المرسومة بالمنطقة الممتدة بـــين الهقار و التاسيلي و أكاكوس، فإن العربة المنقوشة تتوزع بكـــل الصـــحراء الوســـطى و الغربية و الجنوبية و بالأطلس الصحراوي (28). و مما تجدر الإشارة إليـــه أن العربـــة المرسومة كانت حسب هذه الرسومات ذات نمط طبيعي و تقنية متجانسة، كما أنها غالبـــا ما كانت مقرونة إلى خيول في حالة ركض طائر، تنقل شخصا أو اثنين. و خلافا لـــذلك تظهر العربة المنقوشة في أغلب الحالات غير مرفقة بحيوانات الجر، و لعل هذا ما جعل الباحثين يصفونها بالعربة البسيطة، و هي ذات تقنيات تعكس ثقافات مختلفة (29).

يتراوح وزن العربة الليبية ما بين 50كغ و 80كغ، فهي مصنوعة من الخشـــب، قطر عجلتها حوالي 0,96م (30)، و تثبت العجلة بوتيد (clavette) يقع فـــي نهايـــة المحور، و هي حرة مما يسمح بتسوية مشكل التفاضلية في تغيير الاتجاه، و ربما يســـمح طول القبّ بتعويض التباين الموجود في العربة المقرونة إلى جوادين و المعروفة بالبيجة (Le bige)، و يبدو أن عدد فروع عجلة العربة الليبية كان متغيرا، بحيث يتراوح مـــا بين أربعة و ثمانية فروع فأكثر (31).

نظرا لافتقادنا للمعطيات المادية التي تدلنا على استعمال المعدن لإحاطة العجلـــة أو حتى لصنع عجلات برونزية، فإنه يرجح استعمال الجلد في تطويق و تقويـــة إطـــار العجلة، خاصة و أن هذه المادة تصبح شديدة المتانة بعد تجفيفها (32). هذا و يختلف شكل الصندوق أو السطيح الخشبي(plate forme) من عربة إلى أخرى، فهـــو لـــوزي أو مثلث الشكل تارة، و مستطيلا تارة أخرى، و نادرا ما يكون ذو شكل نصف دائـــري، و ربما استخدم القصب أو الجلد في صناعة السطيح، و ذلك عن طريق تشبيك هذه المـــادة حسب ما يظهر بالرسومات الصخرية (33). و مما يعرف عن السطيح المثلث أنه استعمل فيه لجافين مائلين (Deux entretoises obliques) لوصل العريش بـــالمحور، فـــي حين استخدم السطيح اللوزي و المثلث و النصف دائري في صناعة العربة التـــي كانـــت

تقرن إلى أربعة خيـول و المعروفة بالكدريجة أكثر مما استعمل فـي صـناعة العربـة المقرونة إلى جوادين (34).

و يوضع السطيح في العربات الصحراوية فـوق العريش الذي يحكـم تثبيتـه بالجازع، و يتمركز الحوذي أمام هذا الأخير، مما يمكن العريش و القرن من تحمل ثقله، و بالمقابل فإننا نجد تمركز الحوذي في العربة الإغريقية خلف الجازع مما جعله يشـكل ثقلا مضادا، و جعل ثقل العربة و العريش أقل على القرن (35).

إن كثرة العرائش في بعض العربات الصحراوية يمكن إرجاعه إلى طريقة ذكية في ترويض الخيول، ألا و هي جعل الحيوانات التي أحيطت بعريشين و التي ربطت من زمامها إلى قضيب خشبي تمشي بطريقة منتظمة، ذلك أن أربعة خيـول مربوطـة مـن زمامها في خط مستقيم بواسطة قضيب خشبي هي مجبرة على السير و التوقـف علـى وتيرة واحدة، و لم يكن بإمكانها خفض أو رفع عنقها ولا الرفس و لا الهيجـان، و لا أن تعض بعضها البعض، كما أنها تمشي بالتوازي نظرا لوجود عريش يتوسطها (36).

و مما يعرف عن المقرن أو النير(le joug) أنه وضع فـي العربة الليبية في نهاية العريش، و هو على شكل انحناءة مزدوجة في البيجة التي قد تمثلها عربة متحـف فلورنسا أحسن تمثيل، إذ صنعت هذه العربة من خشب المران و خشب السنط، بحيث يتم جمع مختلف أجزائها بواسطة قدات من جلد الثور غير المأفوق، هذه الطريقة التي اتبعت أيضا في صناعة شبكة السطيح (37).

2. تقنيات القرن

استعملت القبائل الليبية في المغرب القديم أربع تقنيات في قـرن حيـوان جـر العربة، و هي قرن نير الظهر، قرن نير القرون، قرن نير العنق و قرن قضيب الجر. و بينما انفرد الليبيون في استعمال تقنية قضيب الجر التي قاموا بإبداعها، اشتركت منطقتـي المغرب القديم و جنوب غرب أوروبا في استعمال التقنيات الثلاثة الأولى (38).

إن قرن نير العنق الذي كان معروفا لدى الليبيين و الإتروسك و الرومان يعتمد عـلى مقـرن يربط إلـى أصـابع الفصـل (Fourchons d’encolure) و يثبـت بالعريـش بواسطة دسار (cheville) و أحزمة تساعد على بقائه على العريش فـي وضعية عمودية (39)، و يتجلى هذا النوع من القرن في المغرب القديم في العربـة ذات العريشين التي لوحظت بساقية البارود بضواحي الجلفة في الجزائر (40).

و تدلنا الرسومات الصخرية في تماجرت بالتاسيلي على إحدى تقنيات القرن التي استعملها الأهالي في فترة فجر التاريخ و هي قرن نير قرون الثور إلى العربــة، بحيــث تظهر على الرسم عربة خفيفة ذات عجلتين تتشكل كل منهما من ستة فروع و مقرونة إلى ثورين بسيور (Sangles) عوض المقرن أو إكليل الجــواد، يحــيط بهمــا عريشــان يتوسطهما عريش ثالث، في حين يخلو القرن من أية وسيلة للقيــادة كالأعنــة (41). إذن استعملت القبائل الليبية تقنية كدن نير القرون لقرن الثور إلى العربة، و لــم تكــن هــذه الطريقة معقدة، فهي تقتصر على ربط النير بالقرون، أما عن تقنية قرن نير الظهر فتتمثل في وضع النير على ظهر الحيوان (42)، و استعملت في قرن ثلاثة أو أربعة خيول سويا.

و يظهر في بعض الرسومات المنتشرة في تامجرت بالتاسيلي و أكــاكوس فــي النيجر وجود المقرن عند المستوى القذالي (occipital) و الفقــرات العنقيــة الأولــى للحصان (43)، و إذا ما يبدو للوهلة الأولى استحالة وضع المقرن بهذا المكان نظرا للألم الذي يسببه القضيب للحيوان لسمك الأنسجة تحت الفقرات العنقية الأولى، فإن ذلك غيــر مستحيل خاصة إذا ما عوض المقرن بقضيب خشبي مغطى بالجلد يمــرر تحــت عنــق الحيوان و يثبت بطرف العريش، و الظاهر أن هذا القضيب يشــد إلــى رأس الحيــوان بواسطة شكيمة رأس بسيطة شبيهة برسن المربط (Licol d’écurie)، و تبدو الخيــول في بعض المشاهد التي تمثلها مقرونة إلى بيجات كأن ذيولها قطعت عمدا لكي لا تشــتبك بها الأعنة (44).

3. تطور تقنيات صناعة العربة في ليبيا

و إذا ما أمكننا تتبع التطورات التي طرأت على تقنيات صناعة العربة بمنطقــة الشرق الأدنى القديم، فإن ذلك غير ممكن بليبيا لعدة أسباب منها:

– ندرة المادة التاريخية، فنصوص هيرودوت و سترابون و سيليوس الإيطــالي التــي تشير إلى استخدام الليبيين للعربة لا تسلط الضوء على التقنيات التي اتبعها هــؤلاء فــي صناعتها (45).

– عدم كفاية المصدر المادي الوحيد الذي تركه الليبيون و المتمثــل فــي الرســومات الصخرية للتأريخ لصناعة العربة في ليبيا، فإذا ما ميز الباحثون بين صنفين فنيــين مــن العربات المجسدة بهذه الرسومات، أطلقوا على الأولى اسم العربة المرسومة و على الثاني العربة المنقوشة، فإنهم ظلوا عاجزين عن تحديد الحقبة الزمنية لكل منهما نظرا لوجــود

العربتين في نفس المستوى، أضف إلى ذلك العثور بالقرب من هـذه الرسـومات علـى الكتابة التفناغية مع العلم أن هذه الأخيرة ظهرت في فترة متأخرة (46).

- مرت العجلة عند المصريين بمرحلتين رئيسيتين، ترجـع الأولى إلى عهد الأسـرة الثامنة عشر و تميزت بوجود عجلة ذات أربعة محاور، في حين ظهرت فـي المرحلـة الثانية التي تأثرت بالتقنية الآشورية عجلة ذات ستة محاور. أما اليد البشرية التي أبدعت الرسومات الصخرية في ليبيا، فهي لم تراعي هذه التفاصيل بحيث اختلف عـدد محـاور العجلة في العربة ذاتها (47).

- استعمل الحصان و الثور لجر العربة في معظم أرجاء ليبيا في آن واحد، أمـا فـي جنوب المغرب الأقصى و موريتانيا فلقد استعمل الثور كوسيلة جر إلى وقت متأخر نسبيا يعود إلى أواخر النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، و قد يرجع ذلك إلى حرص جيران هؤلاء علـى الاحـتفاظ بسر التفوق العسكري الـذي حققه لهـم الحصـان دون غيره مـن حيوانات الجر (48).

IV. طرق استعمال العربة القتالية في المغرب القديم

1. العربة القتالية الليبية من خلال نصوص المصادر الأدبية

إن أول تلميح لاستعمال العربة القتالية من طـرف الليبيـين ورد فـي الكتابات المصرية التي تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، و ذلك حين إشارتها إلى الحملة التي قادها رمسيس الثالث سنة 1187 ق.م ضد قبيلة المشواش و القبائـل الليبيـة المتحالفة معها حين أرادت الدخول إلى دلتا مصر قصد الاستقرار، حيث قـدرت الغنـائم التي جمعها الفرعون خلال هذه الحملة بحوالي 183 ما بين خيـــول و حميـر و مـا يقارب مائة عربة (49).

و يصور لنا هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد قبائل القرامنت(50) وهي تلاحق الأثيوبيين ساكني الكهوف(51) بواسطة عربات تجرها أربعة خيول(52). حيـث أن إعجاب هيرودوت باستعمال القرامنت و الأسبيت(53) للعربة المقرونة إلـى أربعـة خيول جعله يعتقد أن الإغريق إنما تعلّموا عن الليبيين قرن أربعة خيول سـويّا (54). و يردف هيرودوت واصفا الليبيين العاملين في الجيش الميدي على أنهـم قـوّادا للعربـات القتالية(55).

و لم تكن قيادة العربة القتالية عند الليبيين حكرا على الرجال، بل شاركت فيهـا النساء. فيفيدنا هيرودوت بمعلومات يستشفّ من خلالها قيادة نساء قبيلة الزواكيـس (56) للعربات أثناء الحروب (57). أما سيليوس الإيطالي فيحدثنا عن مشـاركة ملكـة قبيلـة الأسبيت في الحرب البونية الثانية، هذه الأخيرة التي كانت تقـود عربـة قتاليـة فـي المعركة التي دارت بساقنته فـي شبه جزيـرة إيبيريا مع بداية هذه الحرب (58).

يعتقد بعض المؤرخين أمثال قبريال كامبس (G.Camps) أن زوال اسـتعمال العربة القتالية في المغرب القديم حسب نصوص المصادر الأدبية القديمة كان في نهايـة القرن الرابع قبل الميلاد، و ذلك حين أمدَّ أحد الملـوك الليبيـين الطاغيـة السرقوسـي أقثوكليس سنة 310ق.م بمجموعة من العربات القتالية في حملته ضد قرطاجة (59). غير أن سيليوس الإيطالي يشير إلى استعمالها خلال الحرب البونية الثانية من طـرف ملكـة الأسبيت التي قتلت و هي تقود عربتها بالقرب من مدينة ساقنته سنة 218 ق.م (60).

كما أننا نجد سـترابون ينوه ببراعة قبيلتي الفاروزي و النيقريـت (61) فـي رمي السهام مـع استعمالهم للعربات القتالية المجهزة بالمناجل، فهم جيـران الأثيـوبيين الغربيين و يقيمون بالجزء الأعلى من أراضي الموريزيين (62).

2. العربة القتالية في الأيقنة الصخرية

يظهر سائق العربة في الرسومات الصخرية في المغرب القديم ممتطيا عربتـه لوحده، و نادرا ما نلاحظ عربة قتالية تقل شخصين أو ثلاثة، بالرغم من أن الحـرب أو الصيد يتطلب على الأقل وجود شخصين في العربة ألا و هما سائق العربة ورجل سلاح، و لعل ظهور شخص واحد يقود العربة في هذه الرسومات هو الذي دفـع الـبعض إلـى استبعاد فكرة استعمال العربة كوسيلة للحرب أو الصيد في ليبيا، بيد أننا إذا احتكمنا إلـى الرسومات المصرية التي تعود إلى عهد المملكة الحديثة فإننا نجدها تمثل الفراعنة يقودون عرباتهم بمفردهم و يلقون بالنبال في آن واحد (63).

و مهما يكن من أمر فإنه لدينا مجموعة من الرسومات تظهر سائق العربة حاملا المزاريق مـع قيادتـه لعربته فـي نفس الوقت، نذكـر من بينها رسم اكتشف بأمغيـد (Amguid) في التاسيلي يمثل عربة ذات عجلتين بإحداهما سـتة فـروع و بـالأخرى ثمانية هـي مقرونة إلى جوادين مبتوري الذيل، يقودها شخص يمسك في إحـدى يديـه بالأعنة و ثلاثة مزاريق، في حيـن يرفع اليد الثانية بطريقة تظهره و كأنـه ممسـك بسوط (64). و نفس الظاهرة يمكن ملاحظتها من خلال إحدى الرسومات الصخرية فـي

واد جرات بالتاسيلي حيث يقف قائد العربة بين مزراقين منصوبين عموديا مع ملاحقته شخصا ذو قرنين يحمل حربة (65).

و يظهر السائق في مشهد ثالث تجسده رسومات واد جرات يقود قرنا يتألف من جوادين مبتوري الذيل، يحمل بإحدى يديه سوطا بينما يمسك الأعنة بالأخرى، و تلاحظ في نفس مستوى محور العجلتين ثلاث مزاريق منتصبة إلى الأعلى في نوع من السلال وضعت خلف قائد العربة، و تبدو السلة كأن الرسام بالغ في تضخيم شكلها مقارنة بالعجلة القريبة منها (66).

و لا ريب أن المهمة الرئيسية للعربة القتالية في المغرب القديم تمثلت في مطاردة المقاتلين المنعزلين عن وحداتهم، بحيث كان يتم ذلك بالاندفاع بالقرن في حركة خاطفة صوب الخصم ثم القفز من فوق العربة لمجابهة هذا الأخير. هذا ما نستخلصه من مشهد إين التوامي في التاسيلي-ن-آجر، يمثل مواجهة بين مقاتلين بالقرب من عربة متوقفة يحمل كل منهما حربة و ترسا مستديرا (67).

و تتطلب العربة القتالية و عربة الصيد وجود شخصين على متنها على أقل تقدير ألا وهما قائد العربة و رجل سلاح، و بالرغم من ندرة الرسومات الصخرية للعربات التي تقل شخصين أو ثلاثة في المغرب القديم، إلا أن ما هو متوفر في الوقت الحاضر يدلنا على بعض النماذج تجعلنا لا نستبعد تشابه الطريقة التي اتبعها الليبيون في قيادة العربات القتالية بتلك التي اتبعتها شعوب الشرق الأدنى القديم، هذه النماذج يمكن أن نلخصها في الآتي:

النموذج الأول لعربة صيد مأخوذ من رسومات آلان -إدومنت في التاسيلي، يمثل عربة تقل شخصين يتوسطهما ثالث يتأهب لرمي الحربة صوب زوجين من الأروية (Mouflons) تركض أمام العربة، يمسك أحد زميليه بالأعنة و الآخر جالس خلفهما بالقرب من مزراقين منتصبين خلفه، و هو ما يرجح أن دور هذا الشخص هو إمداد الرامي بالحراب (68). و لا يقتصر استخدام العربة المقلة لثلاثة أشخاص على الصيد فحسب، بل استعملت في الحروب، بحيث يذكر أن العربات الحيثية كانت تقل في معركة قادش ثلاثة مقاتلين، الأول يقود القرن و يلقي الثاني بالحراب بينما يمسك الثالث بترس يحمي به زميليه من نبال العدو (69)، و هي الطريقة التي يفترض استعمالها من طرف سكان المغرب القديم.

أمـــا العربة المقلة لشخصين فيمكن ملاحظتها مـــن خـــلال ثلاث نماذج، الأول من أمسيدنات (Amsedenet) بالتاسيلي، يمثل عربة مقرونة إلى أربعة خيول و تقـــل شخصين، يبدو أحدهما أصغر حجما من مرافقه الذي يمسك بإحدى يديه عصا طويلة ربما هي حربة (70).

النموذج الثاني من تكيددوماتين (Takédédoumatine) في التاسيلي، يمثـــل عربة ذات عريشين تقل شخصين، الأول يمسك الأعنة بيد و السوط بالثانية، بينما ينحنـــي الثاني على العريش واضعا يديه على مقرن الحصانين (71).

أما النموذج الثالث فيمثّله نقش من واد زقزا في الجماهيرية الليبية، هو لعربـــة مقرونة إلى أربعة خيول بواسطة عريشين، تقل شخصين يمسك أحدهما عصا بينما يرفع الثاني يديه كأنه ممسك بالأعنة (72). و يبدو أن المصريين قد اســـتخدموا العربـــة فـــي معركة قادش كمنصة قذف متحركة تقل جنديين، الأول يقود القرن بينمـــا يلقـــي الثـــاني خصومه بالسهام و الحراب، هـــذا و من المغري الاعتقاد (حســـب رأينـــا) باســـتخدام الليبيين لهذه الطريقة في مطاردة خصومهم.

و يبدو أن استعمال العربات القتالية الخفيفة في المغرب القديم تضاءل شيئا فشيئا مفسحا المجال أمام تعاظـــم سلاح الفروسية في النصف الثاني مـــن الألـــف الأول قبـــل الميلاد، بيد أن تمثيلها على صخور الصحراء الكبرى استمرّ إلى غايـــة القـــرن الثـــاني الميلادي، و هو تعبير على تمسّك شعوب المنطقة بذكرى تراث حضاري يعود إلى حوالي 1500 سنة خلت (73).

V. النتائج المتوصّل إليها

لقد خلصنا إلى عدّة نتائج من خلال دراستنا لأصول العربات القتالية الخفيفـــة و طـــرق استعمالها من طرف القبائل الليبية في المغرب القديم، هي كالتالي:

- ✓ إن المروّج الرئيسي لاستخدام العربات القتالية الخفيفة في ليبيا هي مصر.
- ✓ يعود ظهور العربات القتالية الخفيفة في المغرب القديم حسب الآثاريين و مؤرخي فترة فجر التاريخ في ليبيا إلى حوالي سنة 1500 ق.م.
- ✓ إن الدلائل المادية الخاصة باستعمال الحصان و العربة القتالية الخفيفة التي تعـــود إلى فترة حكم ملوك الهكسوس لا تبرهن إلاّ على أن هذه الوسيلة إنما استعملت في نقـــل قادة الجيوش إلى ميادين المعارك، أو للتباهي كما يظهر لنا ذلك من خلال نصـــــــوص كتاب العهد القديم التي تشير إلى اعتلاء يوسف عليه السلام لإحداها (سفر التكوين: 43،

41)، بيد أن الحرب التي خاضها المصريون ضد الهكسوس في أراضي الدلتا لم تكن تستلزم استعمال العربات القتالية الخفيفة، كون أرض المعركة وحلية.

- ✓ كلّ الآراء التي ترجّح لجوء البعض من الهكسوس إلى ليبيا بعد طردهم من مصر لا تعدو كونها ضربا من الخيال، كون تلك القبائل قدمت من الشرق.
- ✓ لا وجود لدلائل مادية و لا نصوص أدبية توحي إلى ترويج استعمال العربات القتالية الخفيفة في ليبيا من طرف الملوك الرعاة، بل تكاد تنعدم تلك الدلائل في مصر في فترة تواجد ذلك الشعب بها.
- ✓ انتشر استعمال العربة القتالية الخفيفة في المغرب القديم بوتيرة متباطئة، من حدود مصر الغربية إلى ما يعرف في زمننا هذا بالمغرب الأقصى.
- ✓ لم يتجاوز استعمال العربات القتالية الخفيفة في المغرب القديم حدّ المطاردة أو الصيد و الترفيه.
- ✓ لا يوجد (إلى يومنا هذا) دليل مادي أو أدبي قاطع يوحي باستعمال العربات القتالية الخفيفة في المغرب القديم في معارك منظّمة كما هو متعارف عليه.

الهوامش

1) حتي فليب، تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، ترجمة جـ.حداد و عبد الكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، 1958، الجزء الأول، ص 16.

2) باقر طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط.2، بغداد: شركة التجارة و الطباعة المحدودة، 1955، الجزء الأول، ص 45 ؛ لنتون رالف شجرة الحضارة، الجزائر، موفم للنشر، 1990، جـ.1، ص .174

3) تم اكتشاف قرية صغيرة يعود تاريخها إلى أوائل العصر الحجري الحديث في جرمو بالقرب من كركوك في العراق، و قد عثر بها على مجموعة من عظام الحيوانات لا سيما عظام البقر و أنواع صغيرة من الخيول ؛ باقر طه، المرجع السابق، ص ص 41-42.

4) Camps(G), « Chars protohistorique de l'Afrique du nord et du Sahara. Engins de Guerre ou véhicules de prestige ? », 113ème congrès National des Sociétés Savantes, Strasbourg, 1988, IVème Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, t.II, P282 ; Id., « Chars (art rupestre) », Encyclopédie Berbère, XII, 1993, P1887.

5) برستد جيمس هنري، انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو- المصرية، 1963، ص 126؛ سليم أحمد أمين، دراسات في تاريخ مصر و العراق منذ أقدم العصور و حتى مجيء الإسكندر الأكبر، إسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994، ص 130.

6) توينبي أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الطبعة الثالثة، بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع، 1988، الجزء الأول، ص 126.

7) يبدو أن ما عرف بالجياد في ملحمة جلجامش إنما هي الحمير الوحشية التي قام السومريون باستئناسها منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، و ربما قبل ذلك ؛

Virolleaud(Ch.), Légendes de Babylone et de Canaan, Paris: Orient ancien illustré, 1949, P28.

8) يفترض أن العجلة قد استغلت في النقل أول ما استغلت في جنوب غرب آسيا، بحيث يعود ظهورها بهذه المنطقة إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، و منها انتشر استعمالها في أرجاء العالم القديم، فاستعملها الليبيون في الألف الثانية قبل الميلاد ؛

Polge(H.), «technique et promotion de la roue », ARCHEOLOGIA, 23, Juillet-Août 1968, P14

9) باقر طه، مرجع سابق، ص 439.

10) برستد جـــ. هنري، المرجع السابق، ص 159؛ لنتون رالف، المرجع السابق، ص 233 ؛ نفسه، ج.2، ص ص 186-187.

11) Macqueen(J.-G), les Hittites, traduit par C.Sorel, Paris:Arman Colin, 1985, PP75-76.

12) ولسون جون، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1955، ص 257 فما بعدها ؛ حتي فليب، المرجع السابق، ص ص 157-158.

13) Lhote(h.), Les chars rupestres Sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, Hesperides, 1982, P112 ; Braunstein-Sylvestre(F.), « coup d'œil sur le cheval et le char dans l'Egypte du nouvel empire », dans: les chars préhistoriques du Sahara archéologie et techniques d'attelages, Aix-en-Provence, 1982, PP 35-44.

14) برستد جـــ. هنري، المرجع السابق، ص 62 فما بعدها.

15) Muzzolini(A.), « la période des chars au Sahara, l'hypothèse de l'origine Egyptienne du cheval et du Char », dans: les chars préhistoriques du Sahara: archéologie et techniques d'attelages, Aix-en-Provence, 1982, P48.

16) انظر: حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، عدد 15، 2005.

17) أنظر: العدواني محمد الطاهر، الجزائر في التاريخ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج 1، ص ص 247–249.

18) Muzzolini(A.), Op.cit., P46

19) العدواني محمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 247–249 ؛ Camps(G.), « Chars (art rupestre) », P1887

20) العدواني محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 224.

توحي بعض البقايا الأثرية المنسوبة لفترة حكم الهكسوس بمصر معرفة هؤلاء للعربة و الحصان المدجن، إلا أن استعمالهم الفعلي لهاتين الوسيلتين لم يبدأ إلا خلال فترة حكم الأسرة الطيبية الثامنة عشر؛ Braustein-Sylvestre(F.), Op.cit.,PP36-40.

21) Lhote(H.), le Hoggar espace et temps, PP131-132.

22) Camps(G.), « Le cheval et le char dans la préhistoire nord Africaine et Saharienne », dans: les chars préhistoriques du Sahara archéologie et techniques d'Attelages, Aix-en-Provence, 1982, P14.

23) Spruytte(J.) Attelages antiques Libyens, Paris: Maison des sciences de l'homme, 1996, PP111-119

24) Camps(G.), Op.cit., P16

25) Spruytte(J.), Op.cit., PP111-119

26) Lhote(H.), les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, P105. Lhote(H.), les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, P105.

27) Ibid., P106.

28) الخريطة 1

29) Muzzolini(A.), Op.cit., PP45-46

30) Spruytte(J.), Attelages antiques Libyens, P66

Camps(G.), «chars protohistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara: Engins de guerre ou véhicules de prestige ? ».P271. (31

Spruytte(J.), « Le cheval de l'Afrique Ancienne », LE SAHARIEN, 48, 1ère trim, 1968, P35 ; Id. , Attelages antiques Libyens, PP50-58. (32

Camps(G.), « Les chars sahariens. Images d'une société aristocratique », Antiquités africaines, t.25, 1989, PP14-15 ; Id. , « Chars protohistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara. Engins de guerre ou véhicules de prestige ? », P269. (33

Camps(G.), « Les chars sahariens. Images d'une société aristocratique », PP 14-15. (34

Id.,Op.cit., P15 (35

Spruytte(J.), Attelages antiques Libyens, PP 27-31 (36

Id., « Démonstrations expérimentales de biges d'après quelques Œuvres rupestres Sahariens », dans: les chars préhistoriques du Sahara archéologie et techniques d'attelages, Aix-en-Provence, 1982, P164 ; Lhote(H.), les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, P67. (37

Spruytte(J.), Attelages antiques Libyens, P25. (38

Id., « Démonstrations expérimentales de biges d'après quelques œuvres rupestres sahariennes », PP164-165 (39

Camps(G.), « le cheval et le char dans la préhistoire nord-Africaine et Saharienne », P14. (40

Spruytte(J.), Attelages antiques Libyens, PP85-86 (41

Ibid., PP134-135. (42

43) الشكل 1

Spruytte(J.), Op.cit., PP18-26. (44

Hérodote, Histoires, IV, 170 ; IV,180 ; IV,183 ; IV,189 ; IV,193 ; VII,86 ; VII,184 ; Strabon, Géographie, XVII,3,7 ; Silius Italicus, les Guerres puniques, Liv.III, vers 288 et suivi. (45

Camps(G.), « Chars (art rupestre) », P1887 (46

Lhote(h.), les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, pp73-74 (47

Ibid., PP97-98. (48

Camps(G.), « Chars protohistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara. Engins de guerre ou véhicules de prestige ? », P282. (49

50) عرف سكان فزان القدامى باسم القرامنت، و كانت لهم مملكة في تلك المنطقة عرفت عاصمتها بجرمة، و يعتبر هيرودوت أول من أشار إليهم. تميز القرامنت بعرباتهم ذات الخيول الأربعة، و هناك رسوم كثيرة وجدت في فزان تمثلها. و كان القرامنت في صراع مع الرومان انتهى بانتصار كورنيليوس بالبوس خلال الحملة التي قادها ضدهم سنة 19 ق.م ؛ خشيم علي فهمي، نصوص ليبية، الطبعة الأولى، طرابلس–ليبيا، منشورات دار الفكر، 1967، ص 80.

51) الأثيوبيون الذين تحدث عنهم هيرودوت في هذا النص هم سكان جبال تبستي؛ خشيم علي فهمي، نفس المرجع، ص 81.

Hérodote, Histoires, IV, 183. (52

53) تقع أراضي " قبيلة الأسبيت شرق قورينا، و هي حسب هيرودوت" تلي الجليغام غربا و لا يصل موطنها ساحل البحر لأن الساحل جزء من إقليم قورينا، و هذه القبيلة أكثر من أي قبيلة أخرى تستخدم عربات ذات أربعة جياد، كما أنها دأبت على تقليد أغلب عادات القورنيين ؛ الخريطة 02 ؛ Hérodote, Histoires, IV, 170

Hérodote, Histoire, IV, 189. (54

Hérodote , Histoires , VII , 86. (55

56) تقع أراضي قبيلة الزواكيس شرق تونس الحالية ؛ الخريطة 02.

Hérodote, Histoires, IV, 193. (57

Silius Italicus, les guerres Puniques, liv.II, vers 56-90 (58

Camps(G.), « Les chars sahariens. Images d'une société aristocratique », P34 (59

Silius Italicus, les guerres Puniques, liv.II, vers 56-90 (60

61) تقع أراضي قبيلتي الفاروزي و النيقريت جنوب المغرب الأقصى ؛

Lhote(H.), les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, P117

Strabon, Géographie, XVII, 3, 7. (62

63) برستد جـ. هنري، انتصار الحضارة، ص 162.

64) Lhote(h.), des chars rupestres Saharien des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, P41 ; Camps(G.), les chars Sahariens. Images d’une société aristocratique, P17.

65) الشكل 2 ؛ Lhote(h.), Op.cit., P107 ; Camps(G.), Op.cit., P12

66) Lhote(h.), Op.cit., P34

67) Ibid., P25

68) الشكل 3 ؛ Lhote(h.), Op.cit., P114 ; Camps(G.), Op.cit., P39

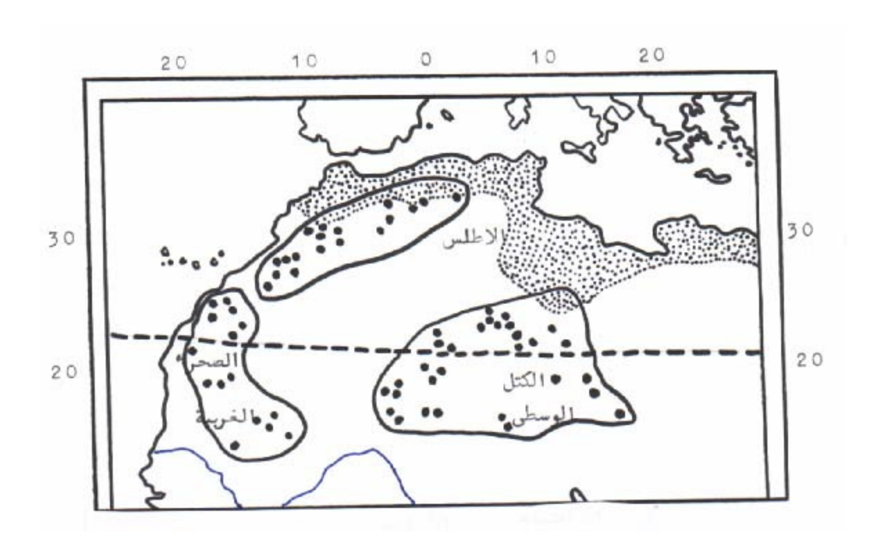
69) Macqueen(J.-G), Op.cit., P77

70) Lhote(h.), Op.cit., P29

71) Lhote(h.), Op.cit., P35 ; Camps(G.), Op.cit., P39.

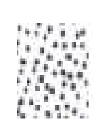
72) Lhote(h.), Op.cit., P39

73) حول مشهد أوان مولين بالتاسيلي الذي يصور العربة الخفيفة في القرنين الأول و الثاني للميلاد، أنظر: Camps(G.), Les chars sahariens. Images d’une société aristocratique, P34-35




مناطق انتشار العربة حسب المصادر الأدبية الإغريقية و اللاتينية

خريطة 1: توزيع الرسومات و النقوش الصخرية للعربات في المغرب القديم
Camps(G.), «les chars sahariens. Images d'une Société aristocratique »,
Antiquités africaines, t.25, 1989, P29.


مناطق انتشار العربة حسب الرسومات و النقوش الصخرية



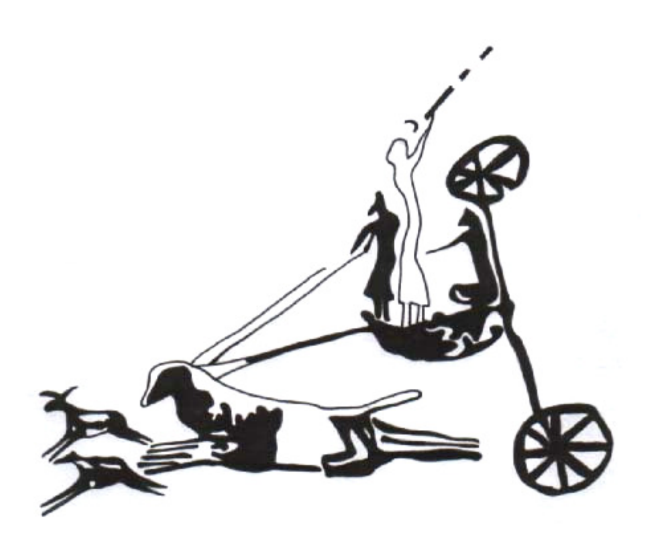
خريطة 2: القبائل الليبية في القرن الخامس ق.م (حسب هيرودوت)

:Spruytte(J.), Attelages antiques Libyens, Paris
La maison des Sciences de l’homme, 1996, P165



شكل 2: مقاتل يلاحق بعربته شخصا ذو قرنين (رسم صخري من واد جرّات بالتاسيلي)
Camps(G.), «les chars sahariens. Images d'une société aristocratique », p12.

شكل 3: رسم صخري من آلان–إدومنت بالتاسيلي يمثل مشهد صيد الأروية



Camps(G.), «les chars sahariens. Images d'une Société aristocratique », P39

.